دعوة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة (هجر العادي) بوادي حريب – محافظة مأرب وضرورة استعادة آثارها ونقوشها المنهوبة

د. محمد بن علي الحاج
قسم السياحة والآثار - جامعة حائل، قسم الآثار- جامعة صنعاء

مقدمة:

يعاني التراث الأثري اليمني العائد لعصور ما قبل الإسلام واقعًا مؤلمًا بدأت قصته منذ أزمنة بعيدة، فقد عَمِد بعض أهل اليمن منذ إسلامهم إلى هدم ما وصلت إليه أيديهم ومعاولهم من أسوار المدن والقصور والمعابد القديمة، فشيدوا بأحجارها وأعمدتها المساجد والمدارس والدور، وظل الحال كذلك طيلة القرون الماضية لدرجة أنَّ كثيرًا من مدن وحواضر اليمن القديم وصروحها الفخمة لم يبقَ منها سوى بعض أحجار مداميكها السفلية، كحال مدينة ظفار حمير، ومأرب القديمة، وناعط، وكانط، وغيمان، وبينون، وغيرها من مدن اليمن القديم.

ورغم عبثية تلك التعديات بحجة أنَّ الإسلام يُحرِّم وجود تلك الآثار، ولانعدام الوعي الثقافي حينها وتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية فإنَّها اقتصرت في معظمها على الآثار الظاهرة للمدن والمعالم القديمة، دون المساس كثيرًا بما تخفيه طبقاتها من آثارٍ ونقوشٍ إلا فيما ندر.

غير أنَّ تلك المعادلة تغيَّرت برمتها منذ خمسينات القرن الماضي، إِثْر توافد الرحلات والبعثات الأثرية العربية والأجنبية على شمال اليمن وجنوبه وعملها في بعض المواقع الأثرية المهمة، فضلًا عن انفتاح اليمن تباعًا على الأسواق العالمية والاقتصاد الحر، فبدأت أعمال الحفر العشوائي تغزو عددًا من المواقع والمدن الأثرية من قبل سكانها بحثًا عن كنوز تلك المواقع البعيدة عن سيطرة الدولة.

ومنذ عام ١٩٩٠م تقريبًا أخذت أعمال النهب والتدمير للمدن والمواقع الأثرية اليمنية تتخذ طابعًا منظمًا تديره شخصيات اجتماعية نافذة في الدولة زادت وتيرته تباعًا، حتى وصلت ذروتها خلال الفترة بين ٢٠٠٠- ٢٠١٠م وحتى وقتنا الحالي؛ نتيجة الهوس

العالمي على اقتناء الآثار العربية والتسويق لها ورواج تجارة القطع الأثرية وفتح قاعات ومراكز لعرضها في أوروبا وأمريكا، وامتلاك لصوص الآثار في محافظات اليمن الشرقية وغيرها معدات حديثة في الكشف عن الآثار، فكان أن تعرضت مجمل مواقعها لأعمال النهب والتجريف والحفر العشوائي بحثًا عن كنوزها وآثارها، فضلًا عن تعرضها لطمسٍ وتشويهٍ لم يسبق له مثيل وقد أسهم التوسع العمراني والزراعي الذي شهدته اليمن في توسيع تلك الظاهرة البغيضة.

وزادت الحروب الأهلية والانقسام السياسي الذي شهده اليمن منذ عام ٢٠١١م من حدة تدمير ونهب وضياع التراث الأثري اليمني، وقد نالت المدن الأثرية اليمنية الواقعة في وديان اليمن الشرقية، وخصوصًا في محافظتي مأرب والجوف النصيب الأوفر من تلك الأعمال الإجرامية غير الأخلاقية لاحتضانها لأكبر وأقدم المدن والمعالم الأثرية اليمنية وأهمها على الإطلاق، ولامتلاكها لمنافذ حدودية كبيرة ومفتوحة يصعب معها المتابعة والحماية الكاملة، فضلًا عن أنَّ تلك المدن الأثرية في وديان اليمن الشرقية بأيدي القبائل هناك، وليس للدولة – منذ أمد بعيدٍ – أية سلطة عليها، وقد غدت تلك المناطق في الوقت الحالي محل نزاعٍ وسباقٍ للقوى اليمنية المتصارعة في السيطرة عليها لأهميتها الاستراتيجية على المستوى السياسي والاقتصادي ولامتلاكها لمواقع أثرية محصنة، الأمر الذي أسهم أيضًا في تدمير بعض مواقع ومدن تلك المناطق التاريخية المهمة.

وقد ترتب على ذلك منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا ضياع ونهب وتدمير الكثير من مدن ومعالم محافظتي مأرب والجوف، فالناظر اليوم لمواقع تلك المدن والمعالم الأثرية يجد أنفاقًا وتلالًا من الركام لا حصر لها، عمد إلى حفرها واستحداثها لصوص الآثار في تلك المناطق على مرِّ السنوات السابقة؛ نتيجة ازدياد ظاهرة تهريب الآثار اليمنية والتشجيع عليها في ظل غياب الدولة وتجاهلها لواقع التراث الأثري هناك، بل والسماح لبعض كبار

مسؤولي الدولة بشراء وامتلاك مجموعات خاصة من نفائس الآثار والنقوش الأثرية المنهوبة من مدن ومواقع محافظتي مأرب والجوف، وتعامل أولئك المسؤولون علنًا مع شبكات تهريب في الداخل اليمني وخارجه، حتى غدت متاحف وصالات العرض في أوروبا وأمريكا مليئةً بالقطع الأثرية النفيسة من معابد ومدن محافظتي مأرب والجوف.

وليس ذلك هو حال المدن والمواقع الأثرية في تلك المحافظتين وحدها، فالتراث الأثري اليمني بوجهٍ عام يعيش حاليًا واقعًا مؤلمًا هو الأصعب في تاريخ مسيرته الحضارية والثقافية، وقد أساء له أبناؤه من الجهلاء وغيرهم الكثير بالعبث والتدمير والسرقة والبيع والتشويه، ولا شك أنَّ هذا الاستهداف الذي يتعرض له يأتي ضمن مطامع جشعة تسعى إلى نهب وطمس التراث الأثري اليمني والعربي، وجعله هو وأبناؤه فريسةً للجهل والتخلف والفقر وضياع الهوية والمعرفة.

ولم يعد تدمير المواقع الأثرية اليمنية القديمة وتهريب محتواها من الآثار والنقوش المهمة حِكرًا على لصوص الآثار في كلٍّ من محافظتي مأرب والجوف وغيرها من مناطق اليمن، بل أخذ بُعدًا خطيرًا ومنظمًا، فقد أصبح يدار من قبل مسؤولين ورجال أعمال وتجار في الدولة اليمنية وبالاتفاق مع جهات وشخصيات وشبكات تهريب داخلية وخارجية، الأمر الذي ضاعف الصعوبات أمام وزارة الثقافة اليمنية والهيئة العامة للآثار والمتاحف في مواجهة ذلك التحدي المنوطة به الدولة في المقام الأول.

وفي هذا البحث أناقش تلك المأساة من خلال التعرض لواقع مدينة أثرية يمنية تقع في وادي حريب، تضاهي في آثارها ونقوشها ومحتواها الفني والمعماري والكتابي آثار المدن الكبرى في الشرق الأدنى القديم، لكنها أقل حظًا من تلك المدن لكونها لم تشهد أعمال بحثٍ وتنقيبٍ علمي على يد أبنائها، بل شهدت أعمال حفرٍ عشوائي ونهبٍ وتدميرٍ وطمسٍ لم يسبق له مثيل في تاريخ اليمن الحديث، حتى وصلت آثارها ونقوشها المهربة

أمريكا وأوروبا ودول عربية وضمن مجاميع خاصة بداخل اليمن وخارجه، وهذا حال كثير من مدن الجوف ومأرب وحضرموت وغيرها القابعة تحت معاول الهدم والتدمير.

تلك المدينة هي مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، الذاكرة المنهوبة من تاريخ اليمن القديم، والهوية الوطنية الثقافية المهدورة من تاريخنا وتاريخ أبنائنا، وهي مدينة قتبانية كان لها دورها المشرق في تاريخ اليمن قبل الإسلام، فقد وصل سكانها بتجارتهم وثقافتهم اليمنية برًا وبحرًا حتى بلاد الشام ومصر وحضارات البحر الأبيض المتوسط، وأشادوا بما حققوه من مكاسب وثقافة وعلوم مدينة محصنة وإرث عظيم يُظهر ما توصل إليه اليمني القديم من رقي وتطور في العمارة، وفنون النحت والصبّ، والصناعة والتعدين، واللغة والكتابة.

وقد حاولت جاهدًا خلال السنوات السابقة وبجهودٍ شخصية توثيق ودراسة ما أمكن من آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة فأعددت عن نقوشها المسندية رسالة الماجستير (٢٠١٣م) وأطروحة الدكتوراه أيضًا (٢٠١٧م) أملًا في توثيق وإنقاذ ما تبقى من تاريخها وآثارها، مجتهدين قدر الإمكان في سبيل ذلك، لعلمي أنَّه لن يبقى شيء منها سوى ما جُمع وكُتب عن آثارها ونقوشها ولو قليل، فتجشمت متاعب النزول الميداني إليها في عام ٢٠١٢م، لتسجيل آثارها ونقوشها الظاهرة رغم كل الصعوبات والمعوقات وحرص السكان هناك على عدم الاقتراب منها أو تصوير آثارها وما تتعرض له من نهبٍ وتدمير، ولكن محاولتي تلك لم تكن إلا بعد تعرض المدينة لأعمال النهب والتدمير التي بدأت في شكلها الممنهج منذ حوالي عام ٢٠٠٠م، وتهريب أغلب آثارها المهمة من التماثيل والنقوش الحجرية والبرونزية الآدمية والحيوانية، واقتلاع أحجار سورها والأبراج المتصلة به، وما يحويه معبد إلهها الرئيس المُسمَّى (حوكم نبط) من تماثيل ونقوش حجرية وبرونزية.

ومع ذلك فإنَّ ما جمعناه ودرسناه من نقوش مدينة مَرْيَمَة تشكل الركيزة الأولى في التعرف على تاريخ وآثار واحدة من أهم وأعظم المدن اليمنية القديمة، فقد بلغ عدد تلك النقوش

التي درسناها منها – سواء تلك التي علمنا على توثيقها في مَرْيَمَة أو التي زودنا بها بعض الزملاء أو التي استعنا في تصويرها ببعض المثقفين والمتعاونين من أبناء هجر العادي – قرابة ١٣٠ نقشًا مسنديًا(١)، تنوعت بين نقوش نذرية ومعمارية وتشريعية وتذكارية، يعود تاريخها إلى الفترة الواقعة بين القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، من خلالها أمكن كتابة جزء من تاريخ مدينة مَرْيَمَة ومراحل تطورها ومعرفة كثير من أسماء سكانها وأسرها وآلهتها، وبعض أسماء ملوكها وأقيالها وأوضاع عهدهم السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية(٢)، وهو جهد المقل ولا أدّعي له الكمال.

الموقع الجغرافي لمدينة مَرْيَمَة ودلالة اسمها:

تقع مدينة مَرْيَمَة جغرافيًّا في شرق اليمن (لوحة ١) إلى الجنوب الشرقي من مدينة مأرب، على بُعد نحو تسعين كم بين دائرتي عرض (١٤ ٥٦ ٣٢. ٥٣) شمالًا وخطي طول (٤٥

[١] . أكرر شكري هنا لكلٍّ من تعاون معي في جمع تلك النقوش وتصوير ما أمكن منها، وأخصُّ هنا بالذكر الأستاذ علي الشريف وابنه عبد الرحمن، والدكتور منير عربش الذي وضع بين يدي صورًا لعدد من نقوش مدينة مَرْيَمَة، كذلك الدكتور روبان الذي أمدني ببعض صور آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة، وهو كذلك للزميل علي طعيمان وأخيه ناجي اللذين تجشما معي متاعب السفر إلى مدينة مَرْيَمَة، أيضًا الزميل محمد العواضي، والأخ صلاح الحسيني الذي زوَّدني بصور لنقوش متحفي بيحان وعتق تضمنت عددًا من نقوش مدينة مَرْيَمَة، ولا أنسى بالشكر الزميل غيث هاشم الذي قدَّم لي صورًا لآثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة.

[٢] . عن محتوى تلك النقوش وما قدمته لنا من معطيات أثرية وتاريخية عن مدينة مَرْيَمَة ينظر الحاج، محمد علي:
- مدينة شكع وأرض يهنطل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يجل يهرجب، مداولات علمية محكمة للقاء العلمي السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م، ص ص ١٢١- ١٤٤.
- نقوش قتبانية من هجر العادي (مَرْيَمَة قديمًا) دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، جامعة الملك سعود، سلسلة دراسات علمية محكمة (٤)، ٢٠١٥م.
- الأوضاع السياسية لمملكة حضرموت وعلاقتها بمملكة قتبان في بداية القرن الأول قبل الميلاد، معطيات تاريخية حديثة في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملكين شهر هلال يهنعم وابنه هوف عم وملك حضرموت يدع أب غيلان، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مج ١٩، ع١، ٢٠١٥م.
- نقشان قتبانيان جديدان من هجر العادي – وادي حريب، سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي الخامس للجمعية السعودية للدراسات الأثرية (المملكة العربية السعودية عبر العصور)، الرياض، ٢٠١٦م، ص ص ١٢٣- ١٤٢.
- في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي بوادي حريب: دراسة لغوية تاريخية مقارنة، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، توزيع دار الوفاق للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م.
-History of Maryamah Town (Hajar- al- ʿAdī) in Wādī Ḥarīb in the Light of Its Musnad Inscriptions (7th Century BC – 3rd Century AD). Adūmātū, 40: 7-40.
- Alhajj, Mohammed. A. A New Qatabanian Inscription from the Reign of Shammar Yuharʿish dhu-Raydān and Other New Data on the History of the Towns of Ẓafār and Maryamah at the End of the Third Century AD, Arabian Archaeology and Epigraphy, VOL. 32, 2021, pp. 388-394.

٢٧ ٤٨ . ٨٢) شرقًا، على ارتفاع (١١٧٢م) فوق مستوى سطح البحر ضمن النطاق الجنوبي لوادي حريب، وتحديدًا عند سهله الفيضي؛ حيث تلتقي الجبال المنحدرة رويدًا رويدًا نحو الشرق بفلاة اليمن (صحراء الربع الخالي)، في موقع يُعرف حاليًا باسم قرية هَجَر العادي، وهي القرية التي أُقيمت على أنقاض مدينة مَرْيَمَة وتقع على بُعد خمسة كم تقريبًا إلى الغرب من مركز مديرية حريب.

يحدُّ موقع المدينة من جهة الجنوب والجنوب الشرقي مزرعة محسن بن عبود الشريف (مزرعة ليمون) وقرية الهجر وجبل طرف العزب، والوسيعة، وسلسلة جبل رخمة، وشرقًا وشمالًا بعض منازل هجر العادي الحديثة وطريق الأسفلت الرئيس الرابط بين وادي حريب ومأرب، ومن الغرب بيوت آل العباب وآل هادي الحديثة الملاصقة تمامًا لمنشأة مدينة مَرْيَمَة الغربية، ومن الشمال الغربي مجرى وادي أبلح وجبل حيد الْمَدَارين (ذو الخضر) وسلسلة جبال عصيفرة (خارطة ١).

أمَّا الحدود الأثرية فيحيط بمدينة مَرْيَمَة عدد من المدن والمواقع الأثرية الظاهرة للعيان الواقعة على حافة الطريق التجاري القديم المار بوادي حَرِيْب نحو مدينة مأرب الواقعة على مسيرة يوم واحد، فعلى بُعد سبعة كم تقريبًا من مدينة مَرْيَمَة نحو الجنوب الشرقي تقع مدينة هربت القديمة (حنو الزرير حاليًا) أحد أهم مدن مملكة قِتْبان في وادي حريب (MuB 554; RES 4329)، وإلى الشمال الشرقي من هجر مَرْيَمَة تقع كلٌّ من: هجر الكحيلة الأثرية، وهجر ذهبا، ونجد مرقد(١)، ولا تبعد مدن وادي الجوبة الأثرية كثيرًا من مدينة مَرْيَمَة، فبعد أن تمرَّ القوافل التجارية بمدن وادي حَرِيْب تأخذ القوافل طريقها بمحاذاة الجبال الشمالية الغربية باتجاه مدن وادي الجوبة الواقع على بُعد ٢٨ كم تقريبًا من وادي حريب.

١ . Harding, G. Lankester. Archaeology in the Aden Protectorates, London. 1964, pp. 47-48, pl. XLIX; Doe, B. Southern Arabia, Thames and Hudson, London, 1971, pp. 202-203, 225-226; Schiettecatte, Jérémie. Villes et urbanisation de l'Arabie du Sud à l'époque préislamique, Universite Paris 1 – Pantheon – Sorbonne, 2006, pp. 217-221.

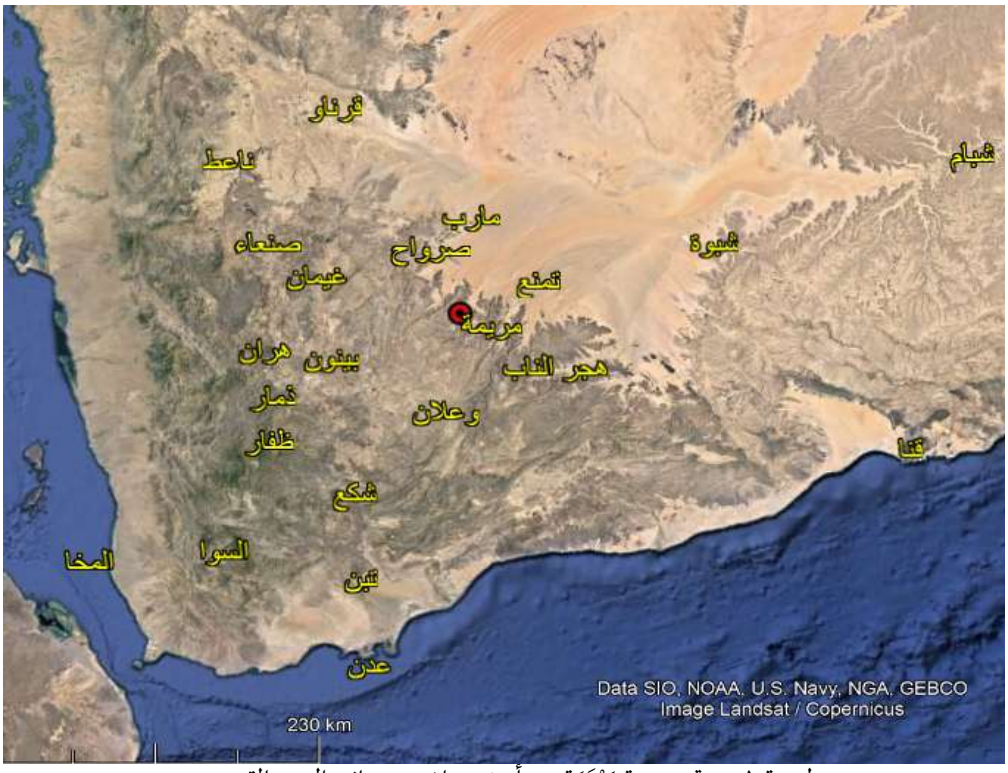

لوحة ١. موقع مدينة مَرْيَمَة بين أبرز حواضر وموانئ اليمن القديم.

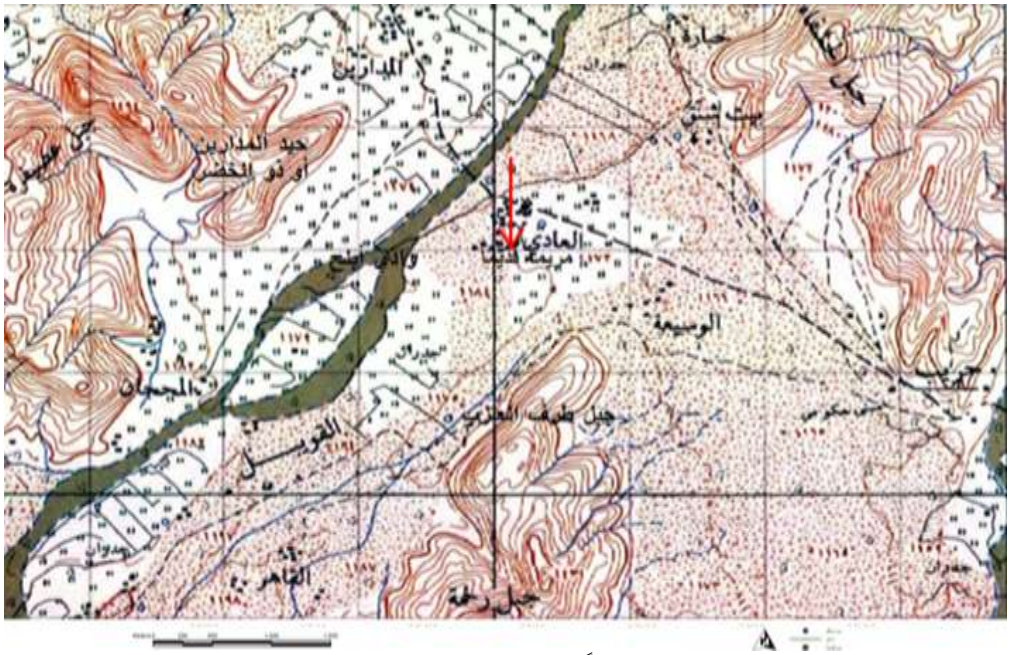

خارطة ١. موقع مدينة مَرْيَمَة (العادي حالياً) وما يحيط بها من معالم طبوغرافية عن (الخارطة الطبوغرافية لوادي حَرِيْب مع إضافات من عمل الباحث).

ويرتبط اسم مدينة مَرْيَمَة (م ر ي م ت م) ارتباطًا وثيقًا بالوادي الذي يقع نحو الغرب والشمال الغربي منها المعروف باسم أبلح؛ إذ إنَّ اسمها ذو دلالة تضاريسية جاء من موقعها المرتفع على تلة ترابية تقع على حافة وادي أبلح الذي يبعد منها عشرات الأمتار؛ لذا أُطلق عليها اسم مَرْيَمَة المشتق من مادة (ر ي م) المسندية الدالة على العلو والارتفاع التي أُشتق منها كثير من أسماء المواضع اليمنية قديمًا، مثل: مدينة (تريم) حضرموت الواقعة أعلى وادي تريم، ومدينة (يريم) الواقعة أعلى وادي قِتاب ضمن محافظة إب، و(يريم أيمن) من أقيال همدان وملوكها (CIH 315/1).

ومن مادة (ر ي م) الصيغة الاسمية المعرفة (رَيْمان) والصيغة الاسمية (ريام) أي: العالي أو السامي المرتبطة في النقوش بمكان عبادة المعبود تألب ريام، إضافة إلى صيغة التفضيل (أريم) الواردة في النقوش المسندية لقبًا لبعض أسماء الأعلام (Abadān 1/1).

و(مَرْيَمَة) من قرى وادي بيحان وحضرموت، وفي لهجات اليمن اليوم يطلق على سطح الدار (رَيم) وهو ما يتوافق مع ما جاء في نقوش المسند، وبخاصة المعمارية منها (Gar nuove iscrizioni 3/4) على نحو: (و ب ر أ و/ ب ي ت هـ م و/ ذ ح ر م م/ ب ن/ م و ث ر هـ/ ع د ي/ م ر ي م هـ و) أي: (وبنو بيتهم ذي حرام من أساسه حتى أعلاه)، وفي حالة الفعل الماضي (CIH/448/2) (و و س ف و/ و ر ي م و/ ك ل/ ج ن أ هـ و) أي: (وأضافوا ورفعوا كل سوره)، ويُسمَّى السُّلم الحجري أو الدرج في كتابات المسند (م ر ي م)، وفي اللغة العربيَّة يرد (ريم) بمعنى الدرجة والدكان ويُنسب إلى لغة اليمن (١).

[1] . للمزيد ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ج ٥، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٩٤؛ بيستون، أ. ف. ل وآخرون، المعجم السبئي، دار نشريات بيترز ومكتبة لبنان، لوفان وبيروت، ١٩٨٢م، ص ١٢٠؛ الأغبري، فهمي علي، معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة، الجمهورية اليمنية. ٢٠١٠م، ص ص ٨٦-٨٨.
Biella, J C. Dictionary of old South Arabic, Sabaean Dialect. Harvard Semitic Studies 25, Chico, Scholars Press, pp. 1982,487.

الأهمية التاريخية والحضارية لآثار مدينة مَرْيَمَة ونقوشها المسندية:

أسهم موقع مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب في تشكيل أهميتها التاريخية والحضارية، فهي تقع وسط أرض غرينيَّة صالحة للزراعة نجمت عمَّا يُحدثه مجرى وادي أبلح الواقع إلى الغرب والشمال الغربي منها من إرساب متكرر انعكس على خصوبة التربة، كما أنَّ وقوع المدينة في المنطقة الانتقالية بين الهضاب الجبلية وصحراء الربع الخالي- حيث تلتقي سفوح الجبال بالصحراء- أسهم في توافر المياه وسهولة الحصول عليها.

فضلًا عن ذلك فإنَّ وقوع المدينة على الطريق التجاري القديم المار بأغلب مدن الوديان الشرقية، قد أدَّى دورًا كبيرًا في إذكاء أهميتها الحضارية؛ إذ شكَّلت مدينة مَرْيَمَة- خلال الفترة الواقعة بين مطلع الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي- حلقة وصل ومحطة تجارية مهمة بين مدن مملكة قتبان الواقعة في كلٍّ من وادي مرخة وبيحان؛ حيث تمنع عاصمة قِتْبان وبين مدن مملكة قتبان شمالًا في وادي الجوبة الواقعة على مقربة من أراضي سبأ وتحديدًا مدينة مأرب؛ حيث تتجمع القوافل التجارية استعدادًا للتوجه شمالًا إلى نجران عبر جوف المعينيين.

وقد دلَّت عدد من نقوش النذرية والمعمارية التي عملنا على دراستها من مدينة مَرْيَمَة على حجم العلاقات التجارية بينها وبين غيرها من مدن الوديان الشرقية، ومدن الأقاليم الداخلية في المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية من اليمن، مثل: شبوة وشبام وظفار وتبن وشُكُع ومرعت وخصوت والحيكل ورحابة وغيرها من الحواضر اليمنية القديمة، الأمر الذي جعل من مدينة مَرْيَمَة واحدة من أهم مدن مملكة قتبان الواقعة على الطريق التجاري القديم(١).

[١] . تلك النقوش هي (حاج – العادي ٢/٣٥؛ ١/٥٧، ٤؛ ١/٥٩، ٣؛ ١/٦٠، ٢؛ ١/٦٢)، للمزيد ينظر: الحاج، محمد علي، ٢٠٢٠م، في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي، مرجع سابق، ٢٠٢٠م.

ونعلم من النقوش المسندية التي عُثِر عليها حتى اللحظة في مَرْيَمَة أنَّ أقدم ذكر لها بصيغة (هـ ج ر ن/ م ر ي م ت م) قد ورد في نقش برونزي من القرن السادس قبل الميلاد مؤرخ بعهد ذمار علي وابنه يدع أب يجل ملكا قتبان (Āl Ṣabāḥ LNS 1756 M)، الأمر الذي يشير إلى أنَّ تاريخ ازدهارها يوافق ازدهار مدن الوديان اليمنية الشرقية في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، كمدينتي تمنع ومأرب وغيرهما، ويؤكد هذا الأمر أنَّ من بين النقوش التي عُثِر عليها في مدينة مَرْيَمَة نقشين مسدنيين مكتوبين بخط سير المحراث يعود تاريخهما للفترة الواقعة بين القرن الثامن إلى السابع قبل الميلاد (حاج – العادي ٢٤، ٢٥)، منهم نقش يأتي على ذكر ملك قتباني جديد عُرف باسم "سمه يدع" (حاج – العادي ٢٥).

أمَّا أحدث تلك النقوش التي تؤرخ للمراحل الأخيرة من تاريخ المدينة فيعود إلى القرن الثالث الميلادي، وهو نقشٌ معماري مهمٌ مؤرخٌ بعهد الملك شمر يهرعش ذي ريدان، أي شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان، وقد أمكننا من خلال هذا النقش التاريخي المهم إعادة النظر في الفرضية القائلة أنَّ شمر ذي ريدان الوارد ذكره في النقش (RES 4336) هو نفسه شمر يهرعش الوارد ذكره في نقوش مدينة مَرْيَمَة (حاج – العادي ٥٦؛ ٥٨)، ونقش ذي ناعم (MQ-dhū Nāʿim 1)، التي تبنَّاها مؤخرًا الباحث روبان الذي يفترض تاريخ حكمه بين ٢٠ – ٥٠ قبل الميلاد، بوصفه من ملوك حمير الذين عاصروا زمن الحملة الرومانية على اليمن(١).

[١] . عن تفاصيل تلك الفرضية وردنا عليها ينظر: الحاج، محمد علي، نقش قتباني جديد من عهد شمر يهرعش ذي ريدان، ومعطيات أخرى حديثة عن تاريخ مدينتي ظفار ومَرْيَمَة في نهاية القرن الثالث الميلادي، مجلة الخليج للدراسات التاريخية والأثرية، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، العدد ١٦، ٢٠٢١، ص ص ١١١- ١٣٣.

Alhajj, Mohammed. A. A New Qatabanian Inscription from the Reign of Shammar Yuharʿish dhu-Raydān and Other New Data on the History of the Towns of Ẓafār and Maryamah at the End of the Third Century AD, Arabian Archaeology and Epigraphy, VOL. 32, 2021, pp. 388-394.

ولا شك أنَّ مدينة كمَرْيَمَة بتاريخها الطويل (١٠٠٠ق. م – ٣٠٠ م)، قد شهدت تطورًا في مختلف المجالات الحضارية والثقافية، وقد ترك سكانها من الإنجازات المادية الكثير في شتى مجالات الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يُشير إليه حجم التراصف الطبقي الأثري للمدينة الناتج عن أعمال الحفر العشوائي لها؛ إذ يصل عمق ذلك التراصف إلى قرابة ١٥م، وهو عمق ليس بالبسيط بما يحمله من دلائل أثرية معمارية ومنقولة، ولا يمكن أن يتكون ذلك التراصف الأثري إلا خلال مراحل زمنية قديمة.

ولو أنَّ تلك الطبقات الأثرية بما تحويه من إنتاجٍ مادي وثقافي قد حفرت على يد باحثين مختصين في الآثار لقدَّمت لنا معطيات أثرية وتاريخية مهمة، ولجادت علينا بكثيرٍ من الإجابات المتعلقة بحقل الدراسات الأثرية في اليمن القديم، فمن خلالها يمكن الخروج بتسلسلٍ زمني لنشأة مدينة مَرْيَمَة ودرجة تطورها عبر التاريخ، بل بتسلسل تاريخي لتطور ونشوء مدن الوديان الشرقية في اليمن وبداية ازدهارها على طريق البخور واللبان ورصد التغيرات التي طرأت عليها عبر نموها الزمني.

ليس ذلك فحسب، بل يبدو واضحًا من ضخامة وعدد المنشآت المعمارية الظاهرة بداخل مدينة مَرْيَمَة المنتشرة في أماكن كثيرة منها، فضلًا عن حجم اللقى الأثرية المتناثرة على السطح مثل: الفخار والمذابح والقرابين والأعمدة وتيجانها وغيرها، أنَّها جزء من تاريخ مدينة كبيرة كانت معروفة على الأقل منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

لقد زوَّدتنا بقايا مَرْيَمَة المعمارية الدينية والمدنية، فضلًا عن النقوش والآثار التي خرجت منها عن طريق أعمال الحفر العشوائي لمعابدها وقصورها ودورها بمعلومات أولية عن أهميتها التاريخية والحضارية، وعلى الرغم من أنَّ تلك الآثار والنقوش قد كشف عنها بطرقٍ غير علمية وهُرِّب أغلبها لخارج اليمن، فإنَّها على قدرٍ كبير من الأهمية سواء

عن مدينة مَرْيَمَة بوجهٍ خاص أو اليمن بوجهٍ عام، فهي دليلٌ واضحٌ على حجم الإسهامات الحضارية لشعوب مدينة مَرْيَمَة ودرجة تقدم الثقافة والمدنية لديهم.

وتلك البقايا المعمارية والآثار والنقوش تشير إلى أنَّ مَرْيَمَة كانت واحدة من أهم مدن مملكة قتبان إن لم تكن أهمها على الإطلاق، وأنَّها أدَّت دورًا حيويًّا بين مدن الوديان اليمنية الشرقية الواقعة على طريق القوافل التجارية منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد على أقل تقدير، ولا أحسبني أذهبُ بعيدًا إن زعمت أنَّ الأهمية التاريخية والحضارية لآثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة لا تضاهيها آثار أي مدينة قتبانية أخرى، ولذلك حرص ملوك قتبان الأوائل على تسويرها وتدعيمها بالأبراج الحجرية المنيعة منذ القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد حسب ما يخبرنا به النقش (Āl Ṣabāḥ LNS 1756 M)، ولا زالت بقايا بعض تلك الأبراج الحجرية الفخمة وأسمائها باقية حتى يومنا هذا.

ولعل من أبرز الآثار والنقوش التي تُظهر لنا حجم الدور التاريخي والحضاري لمَرْيَمَة، هي تلك الكنوز الأثرية البرونزية المتمثلة في مجموعة من التماثيل الآدمية والحيوانية التي شُكِّلت وصُنعت ببراعة يمنية عظيمة في فترات زمنية مختلفة، يعود أقدمها إلى القرن السادس قبل الميلاد تقريبًا، وأهمها تماثيل الوعول الواقفة وتماثيل كبار شخصيات المدينة، فضلًا عن اللوحات البرونزية المكتوب عليها بخط المسند التي يصل طول بعضها إلى قرابة المترين، وما يؤسف له أنَّ أغلب تلك النفائس الأثرية هُرِّبت للخارج بعد اقتلاعها ونهبها من أماكنها من قبل لصوص الآثار في هجر العادي وبيعها من شخصيات اجتماعية يمنية نافذة، قاموا بدورهم بتهريبها وبيعها لهواة الآثار في أمريكا وأوروبا وبلدان عربية، وهي بمحتواها الأثري جزء مهم من ذاكرة اليمن الثقافية المنهوبة.

وقد أمكن من تلك النقوش البرونزية إلى جانب النقوش الحجرية التي لازالت في مَرْيَمَة الخروج بمعطيات تاريخية وحضارية مهمة عن مدينة مَرْيَمَة وشعوبها، منها التعرف

على كثيرٍ من شؤون حياة سكان مجتمع مدينة مَرْيَمَة الدينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والتشريعيَّة، وعلاقته بغيره من المجتمعات اليمنية القديمة وشعوب الشرق الأدنى القديم، فقد جاء في نقشٍ برونزي من مدينة مَرْيَمَة أنَّ أصحابه كانوا على علاقة تجارية واقتصادية مع حضارات بلاد الشام والعراق ومصر ومدن البحر الأبيض المتوسط.

فضلًا عن معرفة جوانب معمارية عدة تتعلق ببناء منشآت مدينة مَرْيَمَة وسورها وأبراجها، وأسماء تلك المنشآت والأبراج، وأسماء من أنشأؤها، والغرض من إنشائها، وفي أي زمن أُنشئت، وعلاقة من بنوا تلك المنشآت من سكان مدينة مَرْيَمَة مع باقي مجتمعات اليمن القديم اقتصاديًّا واجتماعيًّا، خصوصًا تلك المجتمعات الواقعة في المرتفعات الغربية والجنوبية.

واقع آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة وما تتعرض له من أعمال نهبٍ وتدمير:

تعرَّضت مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب -كغيرها من مدن الوديان الشرقية اليمنية- لأعمال نهب وتدمير وطمس وتشويه، وكان ذلك منذ سبعينات القرن الماضي حين عَمِد بعض سكان قرية العادي إلى اقتلاع أحجار سور المدينة ومنشآتها الظاهرة واستخدامها في بناء منشآتهم الحديثة الواقعة على مدينة مَرْيَمَة نفسها، وقد رصدت البعثة الأثرية العراقية التي زارت اليمن في العام ١٩٨١م تلك الأعمال العبثية دون تطرقها إلى ذكر أعمال حفر عشوائي بداخل المدينة(١).

ومنذ عام ٢٠٠٠م تقريبًا بدأت أعمال الحفر العشوائي في مَرْيَمَة بحثًا عن كنوزها الأثرية، وأخذت تزداد تلك الأعمال حدة وتتخذ طابعًا ممنهجًا خلال الأعوام التالية، حتى ما إن جاء عام ٢٠٠٩م حتى تعرَّضت معظم منشآت مدينة مَرْيَمَة للنبش والنهب والتدمير

[١] . القيسي، ربيع، والشكري، صباح، ١٩٨١م: دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد.

على يد بعض سكان هجر العادي والمناطق المجاورة لها، ممن امتهنوا أعمال الحفر العشوائي وبيع آثار مَرْيَمَة المنهوبة.

وكان سور مدينة مَرْيَمَة والأبراج المتصلة به والتي تُغطِّي مساحة ظاهرة قدرها قرابة ٢٥٠ مترًا الأكثر ضررًا من تلك التعديات، فمَرْيَمَة مدينة محصنة بسور عظيم يتخلله عددٌ من الأبراج الدفاعية المبنية بالأحجار الجيرية المنحوتة والمقطوعة بعناية، يصل عدد الظاهر منها قرابة ٢٠ برجًا، وقد كان لكلٍّ من تلك الأبراج اسمه المدون على حجرٍ جيري يقع في منتصف وأعلى المداميك الخارجية لتلك الأبراج، وقد وردت أول إشارة لبناء سورها والأبراج المتصلة به في نقشٍ برونزي مهم يعود تاريخه للقرن السادس قبل الميلاد تقريبًا، من عهد الملك ذمار علي وابنه يدع أب يجل ملكا قتبان (Āl Ṣabāḥ LNS 1756 M)(١).

لكن ما يؤسف له أنَّ ذلك السور والأبراج المتصلة به تعرَّضت للنهب والتخريب واقتلاع أحجارها من أماكنها الأصلية، واستخدامها في بناء منازل قرية هجر العادي الحديثة (لوحة ٢).

١. عن محتوى ذلك النقش البرونزي المهم والموجود حاليًا بدار الآثار الإسلامية بالكويت ينظر دراسة كل من: Robin, Christian J. 2016. La Chronologie de Qataban Premiers Reperes Gli scavi italo-francesi di tamna‘ (repubblica dello Yemen), rapporto finale, In memoria di Alessandro de Maigret, A cura di Alessandro DE MAIGRET Christian Julien ROBIN, Éditions de Boccard 11 rue de Médicis, 75006 Paris, p. 70, 82, 92; al-Hajj, Mohammed Ali. (2019). History of Maryamah Town (Hajar- al- ‘Adī) in Wādī Ḥarīb in the Light of Its Musnad Inscriptions. Ibid, Pp. 21-23.

لوحة ٢. ما تبقى من أبراج مدينة مَرْيَمَة الشرقية وقد قلعت أحجارها المصقولة من مكانها، واستخدمت في بناء مساكن قرية هجر العادي الحديثة الواقعة على منشآت المدينة القديمة نفسها (تصوير الباحث).

وتعدَّى الأمر ذلك إلى الحفر العشوائي بداخل منشآت المدينة بحثًا عن آثارها ونقوشها، وخصوصًا الآثار والنقوش البرونزية، فنُبشت لأجل ذلك القصور والدور والمعابد بمختلف المعدات الحديثة، على إثرها نُهِب كثيرٌ من التراث الأثري لمدينة مَرْيَمَة وتعرَّض الآخر للدمار والضياع والعبث، ووصلت أعمال الحفر العشوائي بداخل تلك المنشآت وخارجها إلى أعماق كبيرة جدًا (لوحة ٣، ٤).

لوحة ٣. من أعمال الحفريات العشوائية لمنشآت مدينة مَرْيَمَة وما ترتب عليها من تدمير وضياع لآثار المدينة، بما في ذلك المنشآت المعمارية الفخمة المبنية بالأحجار المصقولة (تصوير عبد الرحمن الشريف – كاميرا الباحث).

لوحة ٤. صورة أخرى لأعمال الحفر العشوائي لمنشآت مدينة مَرْيَمَة، وقد وصلت حتى الأساسات السفلية لتلك المنشآت (تصوير عبد الرحمن الشريف – كاميرا الباحث).

ويمكن القول إنَّه لم تشهد أي مدينة أثرية يمنية قديمة دمارًا وتخريبًا وعبثًا لتراثها الأثري كما شهدته مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، ولم نفقد من الآثار اليمنية القديمة خلال العقدين

الماضيين كما فقدناه من مدينة مَرْيَمَة، لدرجة يمكننا القول: إنَّ أهم الكنوز الأثرية اليمنية من تماثيل ونقوش برونزية نفيسة قد خرجت من معابد مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، وهُرِّبت إلى متاحف وقاعات العرض في أوروبا وأمريكا وبعض المتاحف العربية وضمن مجموعات خاصة بداخل اليمن وخارجه.

وهنا نستعرض صورتين جويتين لمدينة مَرْيَمَة تم التقاطهما خلال الفترة الواقعة بين الأعوام ٢٠٠٠- ٢٠٠٩م، يمكن من خلالهما تتبع حجم وفارق أعمال النبش العشوائي والنهب والتدمير الذي تعرَّضت له منشآت المدينة في كل الاتجاهات (لوحة ٥، ٦).

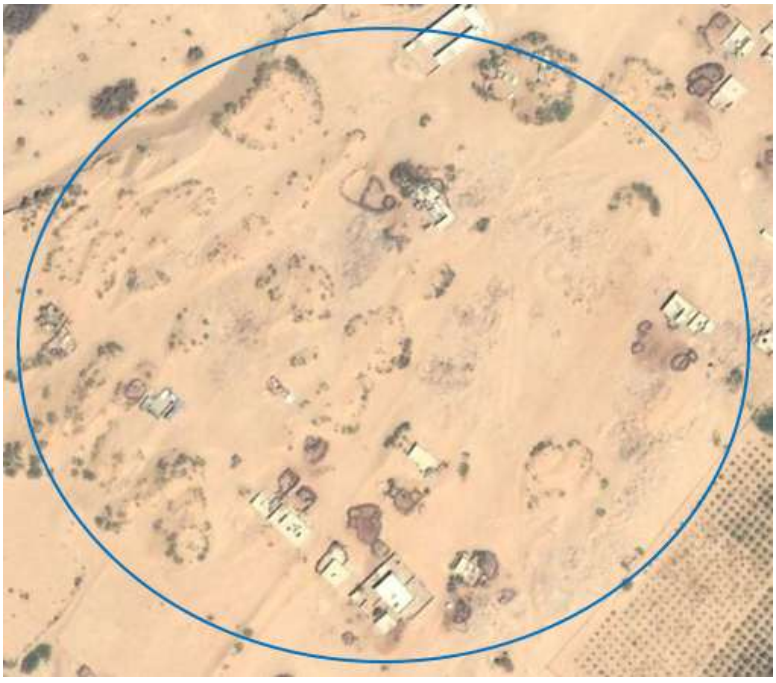

لوحة ٥. صورة جوية لمدينة مَرْيَمَة في العام ٢٠٠٢م تظهر خلوها من أعمال النبش النهب والتدمير، إلا فيما ندر وغير ظاهر في الصورة.

لوحة ٦. صورة جوية لمدينة مَرْيَمَة في العام ٢٠٠٩م، وعليها تظهر فظاعة أعمال النبش والنهب والتدمير التي شملت جميع منشآتها وفي كل الاتجاهات.

وقد شاءت مساوئ الأقدار أن يتمكن لصوص الآثار في هجر العادي والقرى المجاورة لها خلال الفترة الواقعة بين الأعوام ٢٠٠٠ – ٢٠٠٩م، إلى أهم وأعظم المنشآت المعمارية الدينية الواقعة بداخل مدينة مَرْيَمَة، وهو معبد الإله (حوكم نبط) إله شعوب مدينة مَرْيَمَة الرئيس الواقع في الجهة الغربية منها، والمُسمَّى في النقوش باسم شبعان (ب ي ت ن/ ش ب ع ن)(١)، فعمدوا إلى حفره فرادى وجماعات مسخرين لذلك كل ما ملكوه من أدوات الحفر العادية والمطورة (لوحة ٧).

١. يُعدُّ معبد شبعان من أهم وأفخم المعابد الدينية في اليمن القديم، وقد كان مخصص لعبادة الإله القتباني (حوكم نبط) إله مدينة مَرْيَمَة الرئيس، إلى جانب معبودات قتبانية أخرى ثانوية (حاج – العادي ٤، ٧؛ Ḥawkam 4,5/1 (3/2-4;FB-Ḥawkam)؛ وقد كان بمثابة مجمع ديني كبير، يقوم على خدمته عدد من الكهنة والموظفين الإداريين وغيرهم حسب ما يفهم من محتوى النقش (حاج – العادي ٨). وقد سبق لنا وصفه وإبراز أهميته، فضلًا عن تحديد موقعه من مدينة مَرْيَمَة، وما تعرض له من أعمال نبش وتدمير في دراسة سابقة (انظر: الحاج، محمد علي، نقوش قتبانية من هجر العادي (مَرْيَمَة قديمًا)، ٢٠١٥م، مرجع سابق، ص ٦١-٦٣، ١٢٦.

ولكون المعبد يقع في منطقة تغطيها الرمال، فقد عَمِد لصوص الآثار إلى استئجار جرَّافات الحفر الحديثة، بهدف الوصول إلى قاعات المعبد المختلفة على عمق ١٥م تقريبًا، فعاثوا فيها فسادًا ونهبوا كل محتوياتها من الآثار والنقوش البرونزية والحجرية، والقرابين والتقدمات، والتماثيل الآدمية والحيوانية، والبلاطات الحجرية، والموائد والمجامر الحجرية.

ومن هذا المَعْلَم المعماري الديني الفريد نُهبت معظم النقوش والتماثيل البرونزية الحيوانية والآدمية ذات المستوى الرفيع في صبها وتشكيلها ومضمونها، وأبرزها تماثيل الوعول البرونزية، والتماثيل الآدمية، والألواح البرونزية المكتوب عليها بخط المسند، والتي يصل طول بعضها إلى قرابة المترين، والتي كانت مثبتة على جدران معبد الإله حوكم من الداخل، وقد شُوهدت مجموعة كبيرة من تلك الألواح البرونزية بحوزة عدد من الوزراء والقادة والتجار في مدينة صنعاء.

ولم يكتفِ لصوص الآثار في هجر العادي ووادي حريب بنهب بعض تماثيل معبد الإله حوكم ونقوشه البرونزية والحجرية، بل عمدوا إلى نزع كل ما كان يُزين جدران وقاعات المعبد من أفاريز ونوافذ وهمية، وبلاطات مرمرية ورخامية، وديكورات وفنون نحتية، وأعمدة حجرية، ونحو ذلك من التراث الأثري اليمني البديع في تفاصيله وتنوعه ومحتواه وذاكرته الجماعية، فأمَّا التماثيل والنقوش البرونزية فقد بِيعت لتجار الآثار اليمنية في صنعاء من كبار الدولة، والذين بدورهم باعوا تلك التماثيل والنقوش لمتاحف عربية وأجنبية وأبقوا بعضها لديهم، وأمَّا الأعمدة والبلاطات الحجرية المصنوعة من المرمر والرخام والبلق وغيرها، فقد زين سكان هجر العادي ببعضها أحواش مساكنهم وجدرانها من الخارج، والآخر مُلقى على الأرض وكأنَّه لا يحمل أي قيمة تاريخية (لوحة ٨).

لوحة ٧. بعض أعمال الحفر العشوائي التي تعرض لها معبد الإله حوكم في مدينة مَرْيَمَة ونهب محتواه من التماثيل والنقوش البرونزية (تصوير عبد الرحمن الشريف – كاميرا الباحث).

لوحة ٨. عمود حجري ملقى في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة مَرْيَمَة، وهو من الأعمدة التي تم اقتلاعها من معبد شبعان الخاص بعبادة الإله حوكم (تصوير الباحث).

ووصل الأمر بالسكان هناك إلى استخدام الآثار الأخرى من نقوشٍ وقرابين حجرية في تسوير بعض منازل هجر العادي وتحويط الأشجار والأحواض بما يتناسب مع مقاساتها (لوحة ٩)، ولا شك أنَّ تلك التعديات قد أضرت كثيرًا بآثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة الحجرية، وخصوصًا تلك القطع والنقوش الكبيرة التي يصعب نقلها من المعابد، والتي كان مصيرها التكسير إلى قطع صغيرة يسهل نقلها.

لوحة ٩. جزء من الألواح والقرابين والنقوش الحجرية المسندية المستخرجة من معبد شبعان الواقع في الجهة الغربية من مدينة مَرْيَمَة بعد تعرضه للحفر والنهب والتدمير، واستخدامها بعد تكسيرها في تحويط مشجرات أحواش المنازل الحديثة لسكان هجر العادي (تصوير الباحث).

ولعل من أهم الآثار التي نُهبت من معبد الإله حوكم في مدينة مَرْيَمَة، هي تلك المجاميع البرونزية المتمثلة في التماثيل الآدمية والحيوانية التي لا تُقدَّر بثمن، والتي لا يضاهيها في أهميتها التاريخية والأثرية، وبديع صنعتها أي تماثيل يمنية أخرى، فهي من الرموز الأثرية الدالة على عظيم تمدن الإنسان اليمني القديم وثقافته ومعرفته باستخراج المعادن، وقدرته الفائقة في التعامل معها وتشكيلها، ومن أبرز تلك التماثيل الحيوانية، تمثال الوعل البرونزي

الواقف بقرنيه الكبيرين، الموجود حاليًا في قطر ضمن مجموعة الشيخ حمد آل ثاني (لوحة ١٠)، الذي يمكن عدُّه من نفائس التراث الأثري اليمني العائد للقرن الأول الميلادي وشاهد من شواهده العظيمة(١).

وقد أبدع الفنان اليمني القديم في صناعة ذلك التمثال وإظهار ملامحه بدقة متناهية، وهذا أمرٌ غير مستعجب إذا ما أخذنا بالحسبان أنَّ تاريخ الفن في اليمن القديم قد ظهر مبكرًا، وتطوَّر تطورًا كبيرًا في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد وحتى القرون الميلادية الأولى، والتمثال مقدَّم من تجار مدينة مَرْيَمَة المقيمون في مدينة تُبن للإله حوكم بنط في معبده المُسمَّى شبعان وذلك هبة منهم له، إثر ما حققوه من مكاسب وأرباح طائلة خلال إقامتهم للتجارة في مدينة تبن المطلة على خليج عدن وسواحل البحر العربي.

وعلى ظهر ذلك التمثال يوجد نقشٌ بخط المسند قوامه سطرٌ واحدٌ لا يقل أهمية وجمالًا عن صناعة الوعل نفسه (لوحة ١١)، يقول محتواه: إنَّ شعب مدينة مَرْيَمَة المقيم للتجارة في مدينة تُبن(٢) قد قرب تمثال الوعل للإله حوكم هبة منه له، ومن خلال أسلوب كتابة

---

١. تُشير ذلك التمثال البرونزي مؤخرًا ضمن كتلوج شامل لمجموعة الشيخ حمد آل ثاني الأثرية، وقد قدَّم كل من سابينا وكريستيان روبان وصف مختصر للآثار اليمنية التي شملها ذلك الكتلوج المنشور، كما زوَّدنا روبان بصورٍ واضحة لتمثال الوعل البرونزي رأينا استخدامها في هذه الدراسة، فله على ذلك جزيل الشكر:
Antonini de Maigret et Robin. 2018. Rois du monde. Art et pouvoir royal à travers les chefs-d'oeuvre de la collection Al Thani. Pp. 74-77.

٢. () لمدينة تُبن (تبنو) ذكر في نقش مسندي آخر من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، عملنا على دراسته مؤخرًا (حاج – العادي ٥٩)، وهو نقش معماري يقول من خلاله شعب مدينة مَرْيَمَة ساكنو مدينتي تبن والحيكل الجنوبية: إنَّهم قد أعطوا وكرسوا لمعبودهم حوكم خمسمائة قطعة نقدية من الذهب مساهمة منهم في بناء الساند الحجري لسور مدينتهم مَرْيَمَة وذلك منذ مثابهم، أي مثوبة منهم له. والمعروف أنَّ (ت ب ن و) من القُبل والأقاليم الزراعية والتجارية المهمة التي كانت تتبع مملكة قتبان في المرتفعات الجنوبية، وتحديدًا خلال حكم مكاربة قتبان الذين أدخلوا اسم هذا الإقليم والقبيلة ضمن لقبهم الملكي لما له من أهمية اقتصادية حينها (CSAI I 2/1= CIAS 47.11/b، ٥)، وأقدم ذكر لهذا الإقليم أو القبيلة يعود إلى عهد حكم (شهر غيلان بن أب شبم) وابنه (يدع أب ذبيان بن شهر) مكرب قتبان (RES 3550/2-3= CSAI I, 21; RES 4328/4= CSAI I, 28) الذي حمل أطول لقب ملكي في تاريخ قتبان وهو: (مكرب قتبان وكل ولد عم وأوسان وكحد ودهسم وتبنو ويرفأ وأيمن وأشأمن بكر المعبودين أنباي وحوكم) في القرن الخامس- الرابع قبل الميلاد تقريبًا؛ لذا فالأرجح أنَّ مدينة (تبنو) كانت تقع ضمن إقليم (تُبن)، وربما كانت هي حاضرة ذلك الإقليم الجغرافي المهم الذي لا يزال يُعرف حتى وقتنا الحالي باسم (وادي تُبَنْ) على مقربة من أراضي لحج وبحر عدن، وقد أكسبها موقعها المطل على خليج عدن مكانة تجارية كبيرة؛ لذا أقامت بها عدد من الجاليات القتبانية بمن فيها تجار من مدينة مَرْيَمَة. للمزيد ينظر: (الحاج، محمد علي، في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي، مرجع سابق، ص ٣٩٣-٤٠٢).

حروف النقش يمكن القول إنَّ تاريخه يعود للفترة الواقعة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، وهنا نص النقش ومعناه:

ش ع ب ن/ ذ م ر ي م ت م/ ح و ر/ ت ب ن و/ س ق ن ي و/ ح و ك م

الشعب مَرْيَمَة المقيم في (مدينة) تُبن قرب (هذا الوعل البرونزي للإله) حوكم.

لوحة ١٠. تمثال الوعل البرونزي المنهوب من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، وتحديدًا من معبد الإله حوكم نبط الذي تعرض للنبش والنهب والتدمير، وهو حاليًّا ضمن مجموعة الشيخ حمد آل ثاني في دولة قطر (الصورة عن كرستيان روبان).

لوحة ١١. النقش المكتوب بخط المسند على ظهر الوعل البرونزي الذي تم تهريبه من مدينة مَرْيَمَة، الآتي على ذكر شعب مدينة مَرْيَمَة واسم إلهها الرئيس المُسمَّى حوكم (الصورة عن كريستيان روبان).

وقد دأب سكان مدينة مَرْيَمَة على تقديم نذورهم وقرابينهم للإله حوكم نبط في المعبد المُسمَّى شبعان بعد عودتهم من رحلات تجارية رابحة مع مختلف المدن اليمنية القديمة، وخصوصًا مدن المرتفعات الغربية والجنوبية المطلة على خليج عدن وموانئ البحر الأحمر، وكانت تماثيل الوعول والأشكال الآدمية والنقوش البرونزية من أبرز تلك الهبات والنذور، بينما عَمِد قسمٌ آخر منهم في إخراج نذورهم وزكاة أموالهم على هيئة أعمال عمرانية تعود بالنفع على موطنهم، تمثلت في إعادة تشييد وإصلاح ما تصدع من سور وأبراج مدينتهم مَرْيَمَة حفاظًا منهم على بقائها، ومثوبة منهم لإلههم الحامي حوكم نبط(١)، وقد تجلَّت في تلك الأعمال العمرانية المشتركة حب المرء لوطنه والحفاظ عليه.

ولا تقل النقوش المسندية المكتوبة على الألواح البرونزية أهمية عن التماثيل الحيوانية والآدمية التي نُهبت من مدينة مَرْيَمَة، فهي الأخرى من نفائس التراث الأثري اليمني، وأعجبها حسنًا، وأعلاها شَأْواً، وهي وثائق يمنية وأرشيف وطني ثقافي نادر يحمل من المعطيات التاريخية واللغوية الكثير، وللأسف فإنَّ جميع تلك النقوش البرونزية هُرِّبت وبِيعت أيضًا لمتاحف عربية وأجنبية ومجاميع خاصة في أوروبا وأمريكا، يصل طول بعضها

١. عن محتوى تلك النقوش ينظر: الحاج، محمد علي، في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي بوادي حريب، مرجع سابق، ص ٣٥٦- ٤٢٦؛ الحاج، محمد علي، الأهمية السياسية والاقتصادية لمدينة ظفار حمير في القرن الأول الميلادي في ضوء نقشين مسنديين جديدين، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، مج ١٣، ص ص ٧١١-٧٣١.

إلى قرابة المترين، منها ما هو معروض حاليًا للبيع في مزادات عالمية، وقد كانت تلك النقوش البرونزية مثبتة على الجدران الداخلية لمعبد الإله حوكم المُسمَّى شبعان الواقع غرب مدينة مَرْيَمَة (لوحة ١٢، شكل ١)، بوصفها نقوش إهدائية له من نبلاء وكبراء مدينة مَرْيَمَة وأعيانها (١).

ولا شك أنَّ محتوى هذه النقوش في غاية الأهمية واستعادتها أمرٌ ضروري ومطلبٌ وطني، فمن خلالها يمكن رصد تاريخ مدينة مَرْيَمَة والمراحل التاريخية التي مرت بها ومعرفة أسماء حكامها وسكانها وأسرها، وبطونها ومعابدها وآلهتها وتشاريعها المنظمة لحياة الفرد والمجتمع والأحداث التي مرت بها، وعلاقة سكانها من شعوب قتبان بسكان المدن اليمنية الأخرى في مدن سبأ وحضرموت وحمير، ومدن المرتفعات الغربية المطلة على موانئ البحر الأحمر وخليج عدن، وهي قبل ذلك إرثٌ وطني يحمل معانٍ وقيمًا حضارية وتاريخية وإنسانية عظيمة وسمة أصيلة من سمات الهوية اليمنية.

---

١ . عن محتوى تلك الألواح النقشية البرونزية ينظر: دراسة الباحثين الفرنسيين برون وروبان لها، ودراسة الباحثين عربش وإليسيا في المقالات الآتية:

Robin, Christian. 2005-2006. “Documents épigraphiques de diverses origins”. Arabia. Revue de Sabéologie, 3: 281-287.

Bron, François. 2009. “Trois nouvelles dédicaces qatabanites à Ḥawkam”. Orientalia, 78/2: 121-126.

Bron, François. 2010. “Nouvelles inscriptions sudarabiques”. Semitica et Classica, 3: 163-175.

Bron, François. 2013. “Nouvelles inscriptions sudarabiques”. 2. Semitica et Classica, 6: 187-194.

Prioletta, Alessia and Arbach, Mounir 2015. “Inscriptions qatabānites inédites d’une collection privée yéménite”. Semitica, 57: 243-271.

أيضًا دراسة الحاج، محمد علي:

نقوش قتبانية من هجر العادي (مَرْيَمَة قديمًا): دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، ٢٠١٥، مرجع سابق، ص ٧٢. دراسة تحليلية مقارنة لنقش قتباني إهدائي جديد مدون على لوح من البرونز (حاج – العادي ٢٨)، مجلة ادوماتو، العدد ٣٣، ٢٠١٥م، ص ص ٤٣- ٥٦.

نقش قتباني جديد من هجر العادي – وادي حريب: دراسة في دلالاته اللغوية والدينية والتاريخية، مجلة كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، المجلد ٢٧، العدد ٢، مايو، ٢٠١٥م، ص ص ١٦٣- ١٩٦.

في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي بوادي حريب، مرجع سابق، ٢٠٢٠م، ص ١٣٧، ١٥٥، ٢١٣، ٦٢٤- ٦٢٥، ٦٢٨- ٦٣٠.

لوحة ١٢. النقش البرونزي (FB-Ḥawkam 6) المنهوب من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب (١)، ويعدُّ هذا النقش من أهم وأبرز النقوش البرونزية اليمنية القديمة لما يحمله من مضامين تاريخية ولغوية وفنية، والمرجح تاريخه بالقرن الخامس قبل الميلاد (٢).

شكل ١. تفريغ النقش البرونزي أعلاه (الحاج، ٢٠٢٠: ص ١٥٥).

١. انظر: أيضًا صورة النقش البرونزي (FB-Ḥawkam 2) المنهوب من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، والمعروض للبيع على موقع مؤسسة (www.christies.com)، ويعدُّ ذلك النقش واحدًا من أهم النقوش المسندية المقدمة للإله حوكم والعائد تاريخه للقرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، وقد سبق أن عمل الباحث الفرنسي برون على دراسته إلى جانب نقوش برونزية أخرى:
Bron, François 2009. Trois nouvelles dédicaces qatabanites à Ḥawkam. Orientalia, 78/2: 121-126;

٢. عن محتوى هذا النقش وما يحمله من معطيات لغوية وتاريخية وفنية ينظر كتابنا: في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي بوادي حريب، مرجع سابق، ص ص ١٥٥-١٨٢، أيضًا دراسة الباحث برون:
Bron, François 2013. Nouvelles inscriptions sudarabiques. 2. Semitica et Classica, 6: 191-192.

ومن تلك النقوش البرونزية التي هُرِّبت في مطلع القرن الأول الميلادي تقريبًا، نقشٌ مهمٌ يدور محتواه حول العلاقات الحضارية التاريخية والثقافية لشعوب اليمن مع شعوب الشرق الأدنى القديم (لوحة ١٣)، فصاحب النقش تاجرٌ من مَرْيَمَة يُعلن من خلال نقشه هذا أنَّه قد ركب البحر ووصل متاجرًا عبره، وعبر البر إلى مدن بلاد الشام ومصر والعراق واليونان وغير ذلك من مدن حوض المتوسط، وعاد سالمًا بفضل معبوده (حوكم نبط) إلى وطنه مدينة مَرْيَمَة، وعليه فإنَّ هذا النقش من نوادر الآثار اليمنية القديمة وأهمها التي يمكن من خلالها رصد التاريخ الثقافي والحضاري والعلاقات الاقتصادية لشعوب اليمن مع شعوب العالم القديم(١).

لوحة ١٣. النقش البرونزي
(Maraqten-Qatabanic 1)
الذي هُرِّب من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب،
الآتي على ذكر العلاقات الحضارية التاريخية
والثقافية والاقتصادية مع شعوب الشرق
الأدنى القديم ودول حوض المتوسط
(عن مرقطن، ٢٠١٤: ١٠٣؛ DASI Project)

[١] عن محتوى ذلك النقش البرونزي ينظر: مرقطن، محمد، ٢٠١٤. حول العلاقات ما بين بلاد الشام واليمن قبل الإسلام، في كتاب رائد من رواد الجزيرة العربية دراسات في آثار ونقوش بلاد الشام والجزيرة العربية، مقدمة تكريمًا للأستاذ الدكتور معاوية إبراهيم، ص ص ٩٧- ١١٤.

ولم يكن معبد أثيرة المُسمَّى يثقل والمعابد والمنشآت المعمارية الأخرى أقل حظًا مما تعرض له معبد الإله حوكم المسمى شبعان، فقد تعرّضت هي الأخرى لأعمال الحفر العشوائي، واستخراج محتواها من النقوش والآثار ونقل أحجارها وتجريف طبقاتها الأثرية وما تحويه من قطعٍ وتراثٍ أثري متنوع (لوحة ١٤)، وقد جاء اسم ذلك المعبد في عددٍ من النقوش المسندية التي عمل على استخراجها تجار الآثار هناك، ومبلغ العلم أنَّ اسم يثقل كمعبد يرد لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة(١).

لوحة ١٤. أعمال النهب والتدمير والنبش التي تعرض لها مدخل معبد الإلهة أثيرة في مدينة مَرْيَمَة (تصوير حسن الشريف).

وقد وقفت على عجالة في زياراتي لمدينة مَرْيَمَة أثناء جمع نقوش رسالتي الماجستير والدكتوراه على بعض تلك الحفريات العشوائية التي تعرضت لها المدينة، وما ترتب عليها

[١]. عن بعض نقوش المعبودة أثيرة ومعبدها المُسمى يثقل ينظر: الحاج، محمد علي، صورة من مكانة المرأة في مملكة قتبان في ضوء نقوش مسندية جديدة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، العدد الرابع، يناير، ٢٠٢٠م، ص ص ١٢٥-١٤٤؛ نقوش مسندية جديدة حول المعبودة أثيرة ومكانتها في ديانة اليمن القديم (تحت النشر).

من ضياع وخراب وتدمير للتراث الأثري اليمني القديم في واحدة من أهم مدنه العظيمة على الإطلاق، التي ما إن تشاهدها حتى تترك في نفسك حزنًا وأسًا تجاه ضياع ذلك التراث الوطني الأصيل، وفقدان هويته الثقافية والحضارية وليس الخبر كالعيان.

وما يُؤسف له أنَّ سكان هجر العادي والقرى المجاورة لها يعمدون عند الانتهاء من حفرهم لمنشآت مدينة مَرْيَمَة إلى إرجاع الرمال والأتربة عليها، وأحيانًا جلب أتربة ورديم من مكان آخر لدفن ما تم حفره، حرصًا منهم على إخفاء ما يقومون به من أعمال نهبٍ وتدميرٍ ونبش، الأمر الذي يصعب معه مستقبلًا إجراء أي تنقيبات أثرية أو حفريات إنقاذيه في تلك المنشآت المعمارية الدينية والمدنية بهدف الخروج بتسلسل زمني واضح لها ولموادها الأثرية.

ولم تقف أعمال النهب وتدمير آثار مدينة مَرْيَمَة في إطار منشآتها المعمارية الدينية والمدنية كحال سورها والأبراج المتصلة به أو الواقعة داخل سورها، كحال معبد الإله (حوكم نبط) المذكور سابقًا وغيره من المنشآت المعمارية، بل وصلت إلى أبعد من ذلك، فقد تتبع لصوص الآثار في هجر العادي مقبرة المدينة القديمة، وعَمِدوا إلى نبش قبورها وإخراج محتواها من الهبات والنذور ومختلف الأثاث الجنائزي (لوحة ١٥)، واقتلاع أحجار تلك المقابر المنحوتة بعناية واستخدامها في بناء المساكن الحديثة، ويُعدُّ بناء وتخطيط تلك المقابر من أروع الأعمال المعمارية الجنائزية لشعوب مملكة قتبان في وادي حريب، فقد فاقت في تنظيمها ونحتها وصقلها بناء المقابر الموجودة في تمنع عاصمة قتبان.

لوحة ١٥. مقابر مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب بعد تعرضها لأعمال النبش والنهب والتدمير، وهي من المقابر اليمنية الفريدة في تصميمها وعمارتها (تصوير عبد الرحمن الشريف – كاميرا الباحث).

دعوة لإنقاذ ما تبقى من آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة والخطوات المأمولة تجاه حمايتها وصونها:

قد رأينا وسمعنا ما عليه حال آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة، وصار أمرًا بيّنًا بعد أن عدا عليها لصوص الآثار وأحاطوا بها وتخطفوا آثارها ونقوشها، وأسلموها للنهب والتدمير والضياع وما تكره المروءة والأخلاق وأحدثوا فيها ما أحدثوا من الخراب والجور، حتى استوى باطنها بظاهرها وأقصاها بأدناها وجعلوه على صعيدٍ واحدٍ، ولم تجد من يمنعها أو يذبّ عنها أو يرقب لأمرها وأمر تراثها الثقافي اليمني الأصيل، الذي غدا الأكثر تضررًا دون غيره، فإنَّه لا يجدر بنا السكوت على ذلك العبث وانتظار ذهاب جُلّ آثار مَرْيَمَة، والأحرى أن ننافح عنها وعن آثارها ما أمكن ذلك، كلٌّ بحسب مكانته وسلطته، وإن لم نفعل فإننا لم نبلغ من ذلك التراث الأثري اليمني الأصيل شيئًا إن فرغ أو ظل حاله كذلك.

وما كان همسًا ذلك الذي يحدث للتراث الأثري اليمني منذ عام ٢٠٠٠م في مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، بل علنًا على مرأى ومسمع الجميع وعلم الحكومة اليمنية والجهات

المسؤولة عن حماية الآثار، وما يثقل على النفس من الأمر أنَّ وزارة الثقافة وهيئة الآثار والمتاحف اليمنية لم تتمكن منذ عشرين عامًا من زيارة موقع مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب ورصد الانتهاكات التي يتعرض لها، رغم مضي أكثر من عشرين عامًا على العبث والتخريب العشوائي لآثارها ونقوشها، بل لم تسعَ تلك الجهات إلى توثيق ما أمكن من آثارها، وتجريم حيازتها، والحيلولة دون تهريب آثارها لخارج اليمن، رغم علمها بوجود عددٍ كبيرٍ من آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة المهمة لدى شخصيات نافذة في مدينة صنعاء منذ العام ٢٠٠٢م، وقوامها تماثيل آدمية وبرونزية، وأخرى حيوانية لوعول مصنوعة من البرونز في غاية الدقة والجمال والإبداع، فضلًا عن ألواح من النقوش المسندية البرونزية ذات المحتوى التاريخي المهم، ولو أنَّ تلك المجموعات الخاصة وثقت على الأقل قبل خروجها لكان من السهل استعادتها لاحقًا.

ورغم كل ذلك القصور والتغاضي من هيئات الثقافة والآثار في اليمن تجاه حماية آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة، فإنَّ هناك من الأسباب الكثيرة التي وقفت عائقًا أمام تنفيذ مهامها الميدانية والإدارية، منها تقاعس الدولة اليمنية نفسها عن حماية الآثار، وسكوتها عن أعمال تخريبها والتعدي عليها بالسرقة والتشويه والمتاجرة بها، وعدم تطبيقها لقانون ونظام الآثار ولوائحه التنفيذية، والسماح لبعض كبار الدولة باقتناء الآثار وحيازتها، وقبل ذلك صعوبة سيطرتها على القبائل في المناطق الشرقية من اليمن وعدم تعزيزيها من إمكانات وقدرات وصلاحيات هيئة الآثار والمتاحف ومكاتبها في الفروع وتدريبيها لكوادرها والنهوض بهم، كما أنَّ القبائل اليمنية الساكنة في تلك المواقع الأثرية تمنع دخول أي جهات حكومية أو باحثين إليها، الأمر الذي يضاعف الصعوبة أمام وزارة الثقافة وهيئة الآثار في رصد تلك الأعمال الإجرامية وإيقافها.

وختامًا فإنَّ التراث الأثري في مدينة مَرْيَمَة قد تعرَّض ويتعرض اليوم لأعمال نهبٍ وتدمير واتجار ممنهج بكل ما تعنيه الكلمة، لدرجة أنَّ أعظم آثارها ونقوشها البرونزية المستخرجة من معبد المدينة الرئيس الخاص بعبادة الإله حوكم إله المدينة الرئيس قد هُرِّبت في السنوات الأخيرة من عام (٢٠٠٠-٢٠١٠م)، وأهمها التماثيل الآدمية والحيوانية البرونزية، فضلًا عن الألواح البرونزية المكتوب عليها بخط المسند.

وقد غدت تلك الآثار والنقوش موزَّعة على قاعات العرض في أمريكا وأوروبا ولدى بعض المتاحف العربية، وضمن مجاميع خاصة داخل اليمن وخارجه، وتلك الكنوز الأثرية من التماثيل والنقوش البرونزية تحمل لنا الكثير من القيم والرموز – نحن اليمنيين- فليست مجرد تماثيل آدمية أو وعول مصنوعة من البرونز أو نقوشٍ مكتوبة بخط المسند على ألواح معدنية، بل تحمل الكثيرَ من القيم والثقافة والآداب والفنون والفكر والمعارف والخبرات، وهي شواهد حية على تاريخ اليمن القدم وعظيم حضارته وإنسانيته.

وقد صار استعادة تلك القطع والمطالبة بها أمرًا ضروريًّا وملحًا، وكم آمل من الإخوة في وزارة الثقافة اليمنية وهيئات الآثار والمتاحف التحرك في ذلك وفقًا للنظم والقوانين الدولية التي تُجرم شراء التراث الأثري للشعوب، بما في ذلك الآثار التي نُهبت أثناء الحروب والصراع.

ومن هنا أُناشد الحكومة اليمنية في الداخل والخارج بسرعة اتخاذ إجراءات حازمة تجاه تهريب آثار ونقوش مدينة مَرْيَمَة، والحفاظ على ما تبقى من آثارها الثابتة والمنقولة، ففي فقدانها ضياع وتفريط بالهوية الثقافية والحضارية الوطنية والشعور بالانتماء، واضعًا بين أيديهم بعض المقترحات والتوصيات الفاعلة المؤدية إلى تحقيق المراد على الوجه المرغوب فيه، وهو واجبٌ ومسؤولية وحفاظٌ على تراثنا وهويتنا ووجودنا، والتفريط فيه يُعدُّ انسلاخًا من الهوية وقيمها.

١- ضرورة أن تُولي الحكومة اليمنية ومؤسساتها المعنية بالآثار التراث الثقافي الأُثري اهتمامًا خاصًا، لا سيما في الوضع الحالي، بوصفه إرثًا وذاكرة وطنية وقيمًا روحية تربط حاضر اليمن بماضيه، وسنها القوانين والقرارات التشريعية وتطبيقها بما يضمن الحفاظ على ذلك الإرث الوطني، فعلى عاتق الحكومة اليمنية بجميع مؤسساتها يقع الحفاظ على ماضي اليمن وحضاراته المتعاقبة، وفقًا لاستراتيجية ورؤية وطنية واعية يستحضر من خلالها الشعور بأهمية ذلك الإرث الثقافي الوطني ودوره في حفظ الهوية اليمنية وواقعه الحالي المؤسف الذي آل إليه.

٢- سرعة تشكيل فريق أثري وتمكينه من النزول الميداني لمدينة مَرْيَمَة (هجر العادي) بوادي حريب للعمل على توثيق ما تبقى من آثار ونقوش المدينة، ومسح محطيها الجغرافي لتتبع الآثار الظاهرة، وتحديد الانتهاكات التي تعرَّضت لها الآثار هناك وكيفية صونها والحفاظ عليها.

٣- اقتناء الآثار والنقوش الموجودة بحوزة أهالي هجر العادي والحيلولة دون خروجها وتهريبها، كما يشترط في هذ المجال المنع والتصدي مستقبلًا لأي أعمال حفريات عشوائية.

٤- العمل على تسييج موقع مدينة مَرْيَمَة وإزالة مساكن الأهالي الحديثة المقامة عليه، ومنع التوسع العمراني والزراعي بداخل المدينة.

٥- وضع استراتيجية جديدة لتطوير قطاع الآثار والمتاحف في اليمن وإدارته، والتركيز في ذلك على إنشاء وتطوير مكاتب الآثار وإمكانيتها في المناطق الأثرية المهمة، وخصوصًا في المحافظات الشرقية؛ حيث قامت معظم حواضر اليمن القديم، وهنا ننوه أنَّه في ظل غياب التمويل اللازم لمكاتب الآثار وفروعها في محافظة مأرب وأغلب المحافظات الشرقية، وعدم وجود قاعدة إدارية وقانونية فإنَّه يصعب تطبيق إجراءات الحماية بصورة عملية، إذ

إنَّ التناسب هنا عكسي بين الحماية وعدم إيجاد قاعدة إدارية وقانونية لكل مكاتب الآثار وفروعها.

٦- إنشاء مكتب للآثار في وادي حريب مزوَّد بمتطلبات الدراسة والتوثيق الأثري، يكون من مهامه ومهام فرع مكتب الآثار بمدينة مأرب الحفاظ على آثار مدينة مَرْيَمَة والمواقع الأخرى المجاورة لها وتعيين حراسات دائمة بها، ويفضل في هذه الحالة العمل مع هيئة الآثار والمتاحف ووزارة الثقافة على تطوير عناصر أثرية في وادي حريب وقرى هجر العادي من أبناء المجتمع المحلي، وخريجي قسم الآثار تسهم في حماية المواقع الأثرية والمشاركة في توثيقها.

٧- الشروع مباشرة في متابعة القطع الأثرية المنهوبة من مدينة مَرْيَمَة، كونها تُعدُّ جزءًا أصيلًا من مقومات التراث الفكري والثقافي اليمني، وركيزة من ركائز هويته الثقافية والحضارية والدخول في إجراءات جدية لاستعادتها.

٨- التحقيق في مصير مجموعة الآثار والنقوش البرونزية الموجودة لدى بعض الشخصيات الاجتماعية النافذة في صنعاء، التي تُعدُّ من أهم وأكبر المجموعات الأثرية التي خرجت من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب، والبحث فيما تبقى من تلك المجموعة الأثرية النادرة، خصوصًا بعد الأحداث السياسية التي تعرضت لها اليمن مؤخرًا، والحق أنَّ تلك المجموعة تُعدُّ من نفائس الآثار اليمنية على الإطلاق، وموضوع البحث عنها واستعادتها وتوثيقها أمر وطني، لما تحمله تلك المجموعة الأثرية من معطيات تاريخية وأثرية عن مدينة ومجتمع يمني قديم لا يَعرف عنهما الكثير.

٩- رصد وتوثيق الآثار والنقوش المنقولة كافة، التي خرجت من مدينة مَرْيَمَة بهدف دراستها وإصدار كتيب عنها، استكمالًا لما تم توثيقه من آثارها ونقوشها.

١٠- الدعوة إلى عقد مؤتمرٍ للآثار اليمنية القديمة للوقوف على ما تتعرض له تلك الآثار من نهبٍ وإهمالٍ وتدميرٍ، وإيجاد السبل الناجعة للحدِّ من نهبها وتدميرها، وآلية لحماية المواقع الأثرية التي أصبحت آثارها في طريقها للعدم، والبحث عن آليات جدية لاستعادة الآثار والنقوش اليمنية المهربة، وخصوصًا التماثيل الآدمية والحيوانية والنقوش البرونزية التي هُرِّبت من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب.

١١- مخاطبة المنظمات والهيئات المنوطة بحفظ التراث الأثري الثقافي وعلى رأسها منظمة اليونسكو، والدخول معها جميعًا في حوارات مباشرة بشأن القطع الأثرية المهربة من مدينة مَرْيَمَة بوادي حريب وضرورة استعادتها، والتوقيع على قانون اليونسكو والقوانين الدولية الأخرى التي لم توقع عليها بعد الحكومة اليمنية، والتي تضمن ملاحقة ومصادرة الآثار المنهوبة وتجريم مهربيها وإعادتها لشعوبها.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية:

١- الأغبري، فهمي علي، معجم الألفاظ المعمارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة، الجمهورية اليمنية. ٢٠١٠م.

٢- بيستون، أ. ف. ل وآخرون، المعجم السبئي، دار نشريات بيترز ومكتبة لبنان، لوفان، وبيروت، ١٩٨٢م.

٣- الحاج، محمد علي، مدينة شكع وأرض يهنطل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يجل يهرجب، مداولات علمية محكمة للقاء العلمي السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م، ص ص ١٢١- ١٤٤.

٤- الحاج، محمد علي، الأوضاع السياسية لمملكة حضرموت وعلاقتها بمملكة قتبان في بداية القرن الأول قبل الميلاد، معطيات تاريخية حديثة في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملكين شهر هلال يهنعم وابنه هوف عم وملك حضرموت يدع أب غيلان، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مج ١٩، ع١، ٢٠١٥م.

٥- الحاج، محمد علي، دراسة تحليلية مقارنة لنقش قتباني إهدائي جديد مدون على لوح من البرونز (حاج – العادي ٢٨)، مجلة ادوماتو، العدد ٣٣، ٢٠١٥م، ص ص ٤٣- ٥٦.

٦- الحاج، محمد علي، نقش قتباني جديد من هجر العادي – وادي حريب: دراسة في دلالاته اللغوية والدينية والتاريخية، مجلة كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، المجلد ٢٧، العدد ٢، مايو، ٢٠١٥م، ص ص ١٦٣- ١٩٦.

٧- الحاج، محمد علي، نقشان قتبانيان جديدان من هجر العادي – وادي حريب، سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي الخامس للجمعية السعودية للدراسات الأثرية (المملكة العربية السعودية عبر العصور)، الرياض، ٢٠١٦م، ص ص ١٢٣- ١٤٢.

٨- الحاج، محمد علي، نقوش قتبانية من هجر العادي (مَرْيَمَة قديمًا): دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، جامعة الملك سعود، سلسلة دراسات علمية محكمة (٤)، ٢٠١٥م.

٩- الحاج، محمد علي، في تاريخ اليمن قبل الإسلام، نقوش مسندية من هجر العادي بوادي حريب: دراسة لغوية تاريخية مقارنة، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، توزيع دار الوفاق للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م.

١٠- الحاج، محمد علي، صورة من مكانة المرأة في مملكة قبتان في ضوء نقوش مسندية جديدة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، العدد الرابع، يناير، ٢٠٢٠م، ص ص ١٢٥-١٤٤.

١١- الحاج، محمد علي، الأهمية السياسية والاقتصادية لمدينة ظفار حمير في القرن الأول الميلادي في ضوء نقشين مسنديين جديدين، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، مج ١٣، ٢٠٢٠، ص ص ٧١١-٧٣١.

١٢- الحاج، محمد علي، نقش قتباني جديد من عهد شمر يهرعش ذو ريدان ومعطيات أخرى حديثة عن تاريخ مدينتي ظفار ومَرْيَمَة في نهاية القرن الثالث الميلادي، مجلة الخليج للدراسات التاريخية والأثرية، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، العدد ١٦، ٢٠٢١م، ص ص ١١١- ١٣٣.

١٣- الحاج، محمد علي، نقوش مسندية جديدة حول الإلهة أثيرة ومكانتها في ديانة اليمن القديم (تحت النشر)، مجلة كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.

١٤- القيسي، ربيع، والشكري، صباح: دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨١م.

١٥- مرقطن، محمد، حول العلاقات ما بين بلاد الشام واليمن قبل الإسلام، في كتاب رائد من رواد الجزيرة العربية دراسات في آثار ونقوش بلاد الشام والجزيرة العربية، مقدمة تكريمًا للأستاذ الدكتور معاوية إبراهيم، ٢٠١٤م، ص ص ٩٧- ١١٤.

١٦- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ج ٥، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1- Alhajj, Mohammed. A. A New Qatabanian Inscription from the Reign of Shammar Yuhar'ish dhu-Raydān and Other New Data on the History of the Towns of Ẓafār and Maryamah at the End of the Third Century AD, Arabian Archaeology and Epigraphy, VOL. 32, 2021, pp. 388-394.
2- Alhajj. Mohammed A. History of Maryamah Town (Hajar- al- 'Adī) in Wādī Ḥarīb in the Light of Its Musnad Inscriptions (7th Century BC – 3rd Century AD). Adūmātū, 40, 2019. PP. 7-40.
3- Antonini de Maigret et Robin. 2018. Rois du monde. Art et pouvoir royal à travers les chefs-d'oeuvre de la collection Al Thani. Pp. 74-77.
4- Biella, J C. Dictionary of old South Arabic, Sabaean Dialect. Harvard Semitic Studies 25, Chico, Scholars Press. 1982.
5- Bron, François. "Trois nouvelles dédicaces qatabanites à Ḥawkam". Orientalia, 78/2, 2009, pp. 121-126.
6- Bron, François. "Nouvelles inscriptions sudarabiques". Semitica et Classica, 3, 2010, pp. 163-175.
7- Bron, François. Nouvelles inscriptions sudarabiques. 2. Semitica et Classica, 6, 2013, pp. 187-194.
8- Doe, B. Southern Arabia, Thames and Hudson, London, 1971.
9- Harding, G. Lankester. Archaeology in the Aden Protectorates, London. 1964, pp. 47-48, pl. XLIX.
10- Prioletta, Alessia and Arbach, Mounir. "Inscriptions qatabānites inédites d'une collection privée yéménite". Semitica, 57, 2015, pp. 243-271.
11- Robin, Christian J. La Chronologie de Qataban Premiers Reperes Gli scavi italo-francesi di tamna' (repubblica dello Yemen), rapporto finale, In memoria di Alessandro de Maigret, A cura di Alessandro DE MAIGRET Christian Julien ROBIN, Éditions de Boccard 11 rue de Médicis, 75006 Paris, 2016. p. 70, 82, 92.
12- Robin, Christian. "Documents épigraphiques de diverses origins". Arabia. Revue de Sabéologie, 3, 2005-2006, pp. 281-287.
13- Schiettecatte, Jérémie. Villes et urbanisation de l'Arabie du Sud à l'époque préislamique, Universite Paris 1 – Pantheon – Sorbonne, 2006, pp. 217-221.